

الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث

للسيد / محمد علي الزركان (*)

الفرنسية.
وبعد الحرب العالمية الأولى صار لوضع المصطلح العلمي مؤسساته الرسمية، فالجمعان في دمشق (1919) وفي القاهرة (1932) هما اللذان عنيا بالمصطلحات العلمية الحديثة، وكانت عنايتهما لغوية لفظية، ولكنهما فتحا الطريق أمام المؤسسات والهيئات المتخصصة الأخرى في وضع المصطلحات العلمية وتوليدها.
وأول ما فعله مجمع دمشق كان تعريب المصطلحات العسكرية للجيش العربي زمن الملك فيصل بن الحسين، وكان هم بعض أعضائه من الأطباء أن يجعلوا لغة الطب عربية صحيحة وقد فعلوا.
أما مجمع القاهرة فقد كانت اتجاهاته معجمية شمولية في الإطار نفسه، وعلى الطريقة نفسها جرى مجمعا بغداد وعمان من بعد.
وبعد الحرب العالمية الثانية تأثر وضع المصطلح العلمي كل التأثر بأجواء الاستقلال والحريّة التي شملت المنطقة، وبالنمو الواسع للتعليم، إذ دخلت

يبدو أن حركة وضع المصطلحات العلمية التي تجمعت في عصور الاضطراب بسبب توقف النشاط العلمي وانحسار العربية وانغلاقها قد عادت الى النشاط من جديد عندما بدأت اللغة العربية تتجدد في مطلع القرن التاسع عشر.
وكان ذلك القرن يمثل مرحلة انتقالية مورس خلالها وضع المصطلحات العلمية الحديثة (تعريفاً أو ترجمة) من خلال اللغتين المسيطرتين في الأقطار العربية وهما الفرنسية والانكليزية اللتان رافقتا ودعمتا الحضور الأجنبي الاستعماري.
فلقد بدأ العرب وفي مصر خاصة بالعناية بالعلوم التطبيقية ووضع مصطلحاتها بداية حسنة سليمة قامت على ترجمة المؤلفات والمنجزات العلمية الى اللغة العربية، كما درسوها في مدارسهم العليا بلغتهم العربية أول الأمر، ثم توقفوا عن ذلك قبيل انتهاء القرن التاسع عشر فأصبحت العربية بنكسة لا تزال تعاني منها حتى اليوم، إذ مازالت معظم العلوم التطبيقية في الجامعات والمعاهد العليا العربية - غير السورية - تدرس بإحدى اللغتين الانكليزية أو

(*) ملخص الرسالة الجامعية التي أعدها الباحث لنيل درجة دكتوراه الدولة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور شاكراً الفحام، ونوقشت في كلية الآداب بجامعة دمشق (1993).

وسيتناول هذا البحث الجهود التي بذلت في وضع المصطلحات وتصنيف المعاجم العلمية في عصر النهضة الحديثة، أي منذ بدايات القرن التاسع عشر حتى نهايات القرن العشرين. ولقد اقتصر البحث على مصطلحات العلوم التطبيقية دون مصطلحات العلوم الانسانية وألغاف الحضارة التي ليست موضوع هذا البحث، الا ماورد منها عرضا ضمن سياق معين من قبل أحد الباحثين.

وقد تابعت الموضوعات حسب التسلسل الزمني قدر الإمكان وجاءت طريقة العرض متخذة صفة الوصف والتفسير ما أمكن من غير أن يكون هناك موقف سابق يسعى الى نصرة أحد على أحد، أو ينتصر لهذا المؤلف أو لتلك الهيئة أو المؤسسة دون غيرهما. فالمبدأ الأساس هو عرض الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث ضمن موضوعية لغوية بعيدة عن الهوى والتسرع في إصدار الأحكام ما أمكن ذلك.

هذا وقد أفادت الدراسة من مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة سواء مألّف منها في القرن الماضي أو في القرن الحالي. وسواء أكانت مؤلفات علمية تدريسية أم معاجم اصطلاحية متخصصة. فكانت دراسي التي كان موضوعها (الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق) قد فتحت لي آفاق الاهتمام بالمصطلحات العلمية والجهود اللغوية المبذولة من أجلها، وذلك لأن الشدياق اهتم بوضع المصطلحات العلمية والحضارية اهتماما كبيرا. فقد عاش في عصر

مصطلحات جديدة ماكانت بالحسبان، فولجت هذا الميدان جماعات أخرى ومؤسسات غير الجامع، أساتذة الجامعات بالاضافة الى أساتذة الجامعة السورية (جامعة دمشق حاليا) الذين سبقوا في هذا المضمار، ثم دخلته مؤسسات البحث العلمي والمعاهد العليا بأنواعها.

ولقد كثر عدد نقلة العلوم الحديثة وعدد المؤلفين في تلك العلوم، فاختلقت بهذا المصطلحات العلمية اختلافا كبيرا، وصار هذا الاختلاف داء من أدواء لغتنا العربية، وهو ينمو ويستشري كلما اتسعت دائرة الثقافة والعلوم في بلاد العرب.

كما كثر المتصدون لوضع المصطلحات العلمية، سواء كان ذلك من خلال تآليفهم التي كانوا يضعونها بين أيدي طلابهم في المدارس المتخصصة العالية، أو من تصنيف المعاجم العلمية المتخصصة. واستمرت أعمالهم في تزايد مستمر حتى العصر الحاضر، حيث شهد العقد السابع من هذا القرن من المعاجم الاصطلاحية المتخصصة ما لم يشهده عقد في تاريخ العربية على مداه الطويل.

وطبيعي أن تنجح جهود هؤلاء العلماء والباحثين الى مواكبة ماتطلبه تلك النهضة العلمية من المصطلحات الجديدة. وقد شهدت لهم مؤلفاتهم الكثيرة بأنهم بذلوا جهدهم ولم يقصروا في السعي الى وضع المصطلحات العلمية العربية لما استجد من مفاهيم علمية، ولكن بعض المعوقات قد شتت تلك الجهود وأضعف قيمتها العلمية.

فضلا عن منهجيتها في التأليف المعجمي المصطلحي المتخصص إذ كان لكل منهجته الخاصة به ولكل أسلوبه في التأليف المعجمي الاصطلاحي.

ولقد كان من وراء هذه المنهجية هدف علمي كان الحافز على إنشاء الدراسة وهو كشف الجهود اللغوية على مستويات مختلفة في وضع المصطلح العلمي الحديث. فقد توخينا منه دعم العربية الفصحى وتمكينها من حمل العلوم والتقنية في العصر الحديث.

وتجدر الإشارة الى أننا أفدنا من هذه المراجع بحسب ما سمح به منهج البحث وحدوده من غير تزيّد أو إسراف في الحواشي إظهاراً لسعة الاطلاع.

وهذا البحث مرجو منه أن يحقق غاية أساسية هي الوصول الى منهجية متفق عليها لوضع المصطلحات العلمية باللغة العربية تتصف بالتحديد والوضوح، كما يهدف الى تحقيق غايتين اثنتين:

الأولى: أن يدفع عن اللغة العربية تهمة التقصير والعجز، ويرد الى نفوس المتحدثين بها شيئا من الثقة بالنفس أريد لهم أن يفتقدوه منذ زمن غير خطط مدبرة.

الثانية: المشاركة في الجهد المبذول لجعل اللغة العلمية في بعض جوانبها العامة متاحة للجميع، وليست وقفا على فئة قليلة من الناس تقرأ وتتحدث بغير اللسان العربي.

المنهج والخطة:

لقد ارتئي أن يقسم البحث من حيث الزمن الى مرحلتين رئيسيتين كانت نهاية الحرب العالمية الأولى

النهضة في مصر والشام ثم انتقل الى أوروبا واطلع على ما عند القوم من مخترعات ومبتكرات جديدة، فأحاط بما لم يحط به غيره في قضايا المصطلح العلمي في ذلك الوقت.

كما أفادت الدراسة من مجموع المحاضرات التي ألقاها المرحوم مصطفى الشهابي على طلاب معهد الدراسات العربية بالقاهرة والتي جمعها في كتاب (المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث).

وقد حفزني كلمته في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه هذا حين قال: "فأرجو أن تنبه هذه المحاضرات الموجزة طلاب المعهد على الاهتمام بقضية المصطلحات، لأنها أهم قضية تعترض سبيلنا عندما نحاول جعل لغتنا الضادية المضرية صالحة للتعليم العالي وللتعبير عن حاجات الحياة العصرية" ويعد كتابه هذا من أهم الكتب التي ألفت في هذا الموضوع خلال النصف الأول من القرن الحالي. ولا أظن أحدا قد تناول المصطلحات العلمية بالدراسة والتأليف بعد الشهابي الا ما كان من بعض المقالات المتفرقة في أعداد مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وبعض أعداد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط والتي أفادت منها هذه الدراسة إفادة ملحوظة.

أما المعاجم المتخصصة في المصطلحات العلمية سواء أكانت جهودا فردية أم جماعية فقد أغنت الرسالة بمعالجتها المصطلحات العلمية التي أنجزتها

يشكل وحدة متكاملة في الجهود اللغوية في وضع المصطلحات العلمية الحديثة. فظهر تعاون بين الأفراد من جهة والمؤسسات العلمية من جهة أخرى في كل من مصر والشام والعراق.

فالمرحلة الأولى ابتدأت بأوائل القرن التاسع عشر وانتهت بنهاية الحرب العالمية الأولى، وهي التي يمكن أن يطلق عليها (عصر النهضة) وقد خصص لها الباب الأول من الرسالة كما سيأتي، أما المرحلة الثانية فقد ابتدأت بنهاية الحرب العالمية الأولى ولا تزال مستمرة حتى اليوم، ويمكن أن يطلق عليها (العصر الحديث)، وقد خصصت لها الأبواب الثلاثة الباقية من الرسالة، كما سنرى.

وأما من حيث المنهجية فقد انقسم هذا البحث الى أربعة أبواب وخاتمة

فالباب الأول: خصص لبحث وضع المصطلح العلمي في المشرق العربي في عصر النهضة منذ بدايات القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهذا الباب - كما قلنا - مخصص لاستيعاب المرحلة التاريخية الأولى. وقد انقسم الى ثلاثة فصول. تناول الفصل الأول المصطلح العلمي ونقل العلوم الحديثة في مصر، والطريقة التي اتبعت في نقلها، مبينا جهود الأساتذة الأجانب والمصريين في نقل هذه العلوم ووضع مصطلحاتها في مدرسة الطب المصرية: وتناول جهود المترجمين من غير الأطباء والأساتذة وجهود المحررين والمصححين في وضع وتوليد المصطلحات العلمية كما أشار الى صعوبة ترجمة هذه

فاصلا بينهما، وذلك لأن تلك الحرب كانت فاصلا تاريخيا هاما في المشرق العربي بين عهدين هما: عهد الدولة العثمانية الذي انتهى بنهاية الحرب العالمية الأولى، وعهد الاستقلال الذي بدأ بعد نهاية تلك الحرب، حتى إنه يمكن القول أنها كانت فاصلا متميزا بين القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولا شك أن هذا التقسيم تقريبي لاحتملي، إذ لا يمكن الفصل بين مرحلة تاريخية وأخرى فصلا دقيقا قاطعا، وذلك بسبب تداخلهما وتلاحمهما من جهة واختلافهما من جهة أخرى. حتى ان المرحلة التاريخية الواحدة يصعب أن يدل عليها ويستوعبها عنوان واحد ينطبق على كل ما تحتويه من أحداث، إذ لا بد من وجود فروق جزئية قلت أم كثرت. فلا يعقل أن تستمر مرحلة تاريخية تقارب القرن من الزمن على وتيرة واحدة دون تحول أو تبدل أو تطور، وخاصة بعد قيام الحرب العالمية الثانية التي قلبت المفاهيم العلمية رأسا على عقب. فقد تقدمت المخترعات العلمية بأنواعها تقدما لم يسبق له مثيل، مما حمل العلماء واللغويين على وضع أو توليد مصطلحات جديدة لم يكن لها وجود من ذي قبل، أو انهم أعادوا النظر في المصطلحات القديمة التي تخطاها الزمن.

ولقد اقتضت طبيعة البحث هذا التقسيم التاريخي التقريبي، نظرا لأن العمل العلمي كان متصلا اتصالا وثيقا بين المرحلتين وخاصة في أعمال العلماء والباحثين الذين عاشوا نهاية الأولى وبداية الثانية.

وصار المشرق العربي في المرحلة التاريخية الثانية

المصطلحات، وكيفية صوغها، كما استعرض بعض قرارات الجمع في أقيسة اللغة وأوضاعها، وقراراته في الترجمة والتعريب، كما تناول التوصيات الخاصة بوضع المصطلحات العلمية والأمثلة عليها.

والفصل الثالث تناول جهود الجمع العلمي العراقي ومساهمته في وضع المصطلحات العلمية، فتكلمنا عن المحاولات الأولى لإنشاء الجمع، والقواعد التي سار عليها الجمع القديم في وضع المصطلحات وتوليدها. ثم توقفنا عند أعمال الجمع الجديد ومنهجيته في وضع المصطلحات العلمية في العلوم المختلفة التي وضعها الجمع وأقرها.

أما الفصل الرابع فكان لأعمال مجمع اللغة العربية الأردني وأهدافه ووسائله لتحقيقها، ومنهجيته في وضع المصطلحات العلمية، وجهوده في تعريب كثير من مصطلحات العلوم المختلفة التي تدرس في الجامعات الأردنية، والمنهج الذي كان يتبعه في عملية التعريب، وإفادة الجمع من الحاسوب في تدوين مصطلحاته التي عربها وأقرها.

الباب الثالث: تناول الجهود الأخرى غير الجمعية في وضع المصطلحات وتأليف المعاجم العلمية المتخصصة، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى نهايات هذا القرن. وقد انقسم إلى ثمهيد وثلاثة فصول.

أما الفصل الأول: فكان لإبراز جهود الجامعة السورية (جامعة دمشق) في وضع المصطلحات العلمية وتوليدها، وتأليف المعاجم المتخصصة. وقد

المصطلحات ومحاولة التغلب عليها.

وأما الفصل الثاني، فقد تناول المصطلح العلمي ونقل العلوم الحديثة في الشام مشيراً إلى جهود أساتذة الكلية السورية الإنجيلية، وإلى جهود الكتاب والمترجمين من غير أساتذة الكلية في وضع المصطلحات العلمية.

وأما الفصل الثالث، فقد تناول المصطلح العلمي ونقل العلوم الحديثة بين الشام ومصر والعراق، مشيراً إلى جهود الدكتور يعقوب صروف ومجلة (المقتطف) في وضع المصطلحات العلمية وتوليدها. وأشار أخيراً إلى وضع المصطلح العلمي ونقل العلوم الحديثة في العراق الذي كان نشاطه محدوداً في هذا الشأن.

وأما الباب الثاني: فقد خصص لجهود مجامع اللغة العربية الأربعة ومنهجيته في وضع المصطلحات العلمية، فأفرد لكل مجمع منها فصلاً خاصاً به.

فكان الفصل الأول للبحث في جهود مجمع اللغة العربية بدمشق (الجمع العلمي العربي سابقاً) منذ بدأ بوضع المصطلحات الإدارية وغيرها في مراحلها الأولى. كما بحث في أعمال مجلة الجمع ودورها في وضع وتوليد المصطلحات العلمية الجديدة.

أما الفصل الثاني فقد تناول جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها. وقد بدأ بلمحة موجزة عن تاريخ المحاولات الأولى لإنشاء هيئات لغوية علمية تشبه المجمع، وعن إنشاء المجمع الحالي والأدوار التي مر بها كما تناول البحث منهجية المجمع في قبول

العلمية الأولى حتى أواخر هذا القرن، فاستعرض جهود خمسة عشر معجميا كانت أعمالهم ذات أثر فعال في مسيرة وضع المصطلحات العلمية وتصنيف المعاجم العلمية المتخصصة أمثال الدكتور أمين المعلوف والأب أنستاس ماري الكرملني ومحمد شرف ومصطفى الشهابي... وغيرهم. وأنهى الفصل بإجراء موازنة أو مقارنة بين ثلاثة معاجم طبية حديثة كان القصد منها إيضاح التحول من التعريب أو الاقتراض اللغوي إلى الألفاظ و المفردات العربية الدالة على المفاهيم العلمية، واختتم بملاحظات حول جهود هؤلاء الأفراد وتقويمها.

وأما الباب الرابع: فكان بعنوان (سبل توحيد المصطلح العلمي العربي) وسيبحث هذا الباب في الجهود التي قامت بها هيئات ومؤسسات ومنظمات عربية من أجل التنسيق بين المصطلحات العلمية والعمل على توحيدها في الأقطار العربية، وعلم المصطلحات وضرورة تدريسها في المعاهد العليا والجامعات العربية. وقد انقسم هذا الباب إلى تمهيد وأربعة فصول.

فالفصل الأول: كان لبحث جهود اتحاد المجامع اللغوية العربية، فمهد بلمحة موجزة عن نشأة الاتحاد، ثم عرض لتوصيات لجنة المصطلحات العلمية المنبثقة عن مؤتمره الأول، كما استعرض الندوات التي عقدها الاتحاد.

أما الفصل الثاني: فقد تناول جهود مكتب تنسيق التعريب بالرباط فمهد بلمحة موجزة عن

تناول جهود أساتذة الجامعة في تأليف الكتب العلمية ووضعهم المصطلحات لهذه التأليف ومنهجيتهم في وضع هذه المصطلحات. كما أشار إلى بعض المشكلات التي يتعرض لها المصطلح، والجهود المبذولة للقضاء عليها. وتحدث عن مجلة (المعهد الطبي العربي) ودورها في وضع المصطلحات العلمية وتحقيقها ومناقشتها. وتناول جهود أساتذة الجامعة في تصنيف المعاجم العلمية مثل ترجمة معجم (كليرفيل) الكثير اللغات وتأليف (معجم العلوم الطبية).

وأما الفصل الثاني فكان لاستعراض جهود هيئات ومنظمات أخرى في وضع المصطلحات وتصنيف المعاجم العلمية المتخصصة، فبدأ بجهود وزارة الدفاع السورية التي وضعت (المعجم العسكري) و (المعجم الكهربائي الإلكتروني). كما تناول جهود لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية في وضع (المعجم العسكري الموحد) ثم أشار إلى جهود القوات المسلحة المصرية في وضع (معجم المصطلحات الفنية)، وإلى جهود اتحاد الأطباء العرب، ووزراء الصحة العرب، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في وضع (المعجم الطبي الموحد) وإلى جهود اتحاد المهندسين العرب في وضع (المعجم الشامل للمصطلحات الفنية للمهندسة والتكنولوجيا والعلوم)... الخ ثم أنهى الفصل بخاتمة وتعليق وتقويم.

والفصل الثالث تناول جهود الأفراد في وضع المصطلحات وتأليف المعاجم العلمية منذ نهاية الحرب

وأشار الى اهتمام المعهد القومي للمواصفات والمقاييس بتونس بهذا العلم، والدعوة الى تدريس علم المصطلحات في الجامعات العربية. وأخيرا احتتمت الرسالة بأهم النتائج التي توصل اليها البحث.

ومهما يكن من أمر فان هذا العرض السريع لما انطوى عليه هذا البحث لا يتعدى أن يكون - فيما أرى - ملخصا عرض فيه موضوع الدراسة وخطتها من خلال الأبواب والفصول عرضا سريعا. وهو قاصر حتما عن التعريف المفصل بمحتوى هذا البحث. فلا بد لمن يريد الوقوف على التفاصيل من أن يتأمل كل فصل من فصوله ويقف عند سائر جزئياته وقفة متأنية غير مستعجلة لعله يجد ما يفيد منه في التعرف على الجهود المبذولة من قبل الأفراد والجماعات في إيجاد المصطلحات العلمية العربية وتوليدها، منذ بدايات القرن الماضي وحتى نهايات هذا القرن. فلقد هدف هذا البحث الى إبراز قدرة اللغة العربية على أن تكون لغة العلوم والفنون تتدفق فيها الحياة كما كانت أيام عزها وازدهارها. فاللغة التي لا تتمكن مفرداتها من الوفاء بمصطلحات العلوم الحديثة مقضي عليها بالجمود والتخلف والموت، وليس لتغتنا كذلك.

واستمح القارئ الكريم العذر فأقول : اذا كنت أصبت فذلك المنشود والمأمول، وإلا فحسبي أنني ما كنت لحظة ضنينا في تلمس الصواب وابتغاء سواء السبيل.

تأسيس المكتب والغاية من إنشائه، ثم بين منهجته في توحيد المصطلحات العلمية ووضع مشاريعه المعجمية. كما بين مفهوم التنسيق والمنهج الذي رسمه المكتب لنفسه في ذلك. وأشار الى كيفية وضع مشروعات المعاجم المصطلحية العلمية، والوسائل المتبعة في إنجاز هذه المعاجم. كما تناول الفصل قضية المكتب وبنوك المصطلحات العلمية، ودعوته الى إنشاء بنك المصطلحات المركزي وتطرق الى مؤتمرات التعريب والنتائج المتحصنة عنها وتوصياتها والى ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي، والى الدور الذي قامت به مجلة (اللسان العربي) في نشر المصطلحات ومشروعات المعاجم المتخصصة، ثم استعرض الفصل بعض المعاجم التي نشرها المكتب بموازرة هيئات عربية أخرى، ثم إثبات نماذج من التباين في تسمية المصطلحات في بعض المعاجم العلمية الموحدة التي شاركت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في إصدارها.

وتناول الفصل الثالث: جهود بعض الهيئات والمنظمات في توحيد مصطلحاتها، فتكلمنا عن مشروع (راب) لترجمة مصطلحات الاتصالات السلوكية واللاسلكية، وجهود المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، وأعمال المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس وأخيرا عن البنك الآلي السعودي (باسم).

وتناول الفصل الرابع: علم المصطلحات: تعريفه، ونشوؤه، ونموه وتدرسه في الجامعات. كما تناول تجربة معهد بورقية في تدريس علم المصطلحات،

" الخاتمة ونتائج البحث "

جاء بعد من أساتذة الكلية السورية الانجليزية في بيروت (الجامعة الأمريكية حاليا) وأساتذة المعهد الطبي العربي بدمشق (كلية الطب حاليا).

وعلى أية حال فقد كانت كتب التراث الطبي العربي مصدرا رئيسيا من مصادر المصطلحات الطبية لجميع هذه المؤلفات في مصر والشام.

وفي الباب الثاني: أبرز البحث أن الجامع اللغوية والعلمية في الوطن العربي حملت عبء وضع المصطلحات العلمية، وأنها تسير في ذلك وفق منهجيات تقوم على مبادئ علمية واحدة تقريبا، وتستند الى أسس موضوعية متقاربة، وأن الطريقة التي يتم فيها وضع المصطلحات تكاد تكون مشتركة بين هذه الجامع. ولكن اتباع منهجية واحدة من قبل هذه الجامع لم يعصم من الوقوع في مشكلة تعددية المصطلح العلمي.

ويمكن القول ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة هو المجمع الوحيد الذي قصر عمله على اللغة ومصطلحاتها، شأنه في ذلك شأن الجامع اللغوية المعروفة في بلاد أوروبا. وان المصطلحات التي وضعها ونشرها هذا المجمع كانت كثيرة ومتنوعة تناولت علوما حديثة متعددة، حتى قال عنه بعض الباحثين: " ان المجمع يكاد يقف على المصطلحات كل وقته".

أما مجمع دمشق فلم يتبن وضع المصطلحات والمعاجم العلمية المتخصصة الا قليلا وذلك لأن كثيرا من أعضائه العاملين كانوا يقومون بهذا العمل في محاضراتهم ومؤلفاتهم الطبية أثناء قيامهم بعملية

بعد أن انتهينا من عرض الجهود اللغوية التي بذلت في وضع المصطلحات العلمية الحديثة وتوليدها من قبل الأفراد والجماعات منذ مطلع القرن الماضي حتى نهايات القرن الحالي، لا بد لنا من وقفة ختامية تقويمية قصيرة نستعرض فيها أهم النتائج التي توصل اليها البحث، بعد أن كنا قد أشرنا الى بعض هذه النتائج من خلال أبواب وفصول هذه الدراسة، فلا داعي لتكرار ما سبقت الإشارة اليه. أما النتائج الأخرى التي توصل اليها البحث فكانت كثيرة ومتعددة سنورد أهمها فيما يلي:

ففي الباب الأول: أبرز البحث أن الجهود الفردية سبقت الجهود الجماعية في وضع المصطلحات العلمية وتصنيف المعاجم المتخصصة ومهدت لها، ولا تزال هذه الجهود الفردية تشارك في هذا العمل العلمي. كما أبرز البحث أن المرحلة التي بدأ فيها تعليم الطب باللغة العربية في مصر، في مطلع الربع الثاني من القرن الماضي، كانت فيها مدرسة الطب المصرية سباقة الى وضع المصطلحات العلمية الطبية الحديثة وأثبتت أن اللغة العربية قادرة على أن تستوعب أسماء المفاهيم العلمية الجديدة. وأن الكتب الطبية المؤلفة أو المترجمة تدل دلالة واضحة على أن وضع المصطلح العلمي ليس أمرا مستعصيا، وإن كان ذلك يحتاج الى جهد مستمر.

هذه المؤلفات الطبية كانت مصادر ومراجع لمن

التدريس في الجامعة السورية آنذاك.

وفي الباب الثالث: أبرز البحث أن أساتذة الجامعة السورية (جامعة دمشق) قد حملوا عبء التعريب ووضع المصطلحات العلمية في سورية في مؤلفاتهم الطبية خاصة منذ مطلع هذا القرن، وكان أكثرهم أعضاء في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية).

وتبين لنا من خلال البحث أن الجامعة السورية ومجمع اللغة العربية في القاهرة كانا من أكثر المؤسسات والهيئات العلمية العربية نشاطا في وضع المصطلحات العلمية ونشرها.

فلقد مر على إنشاء كلية الطب بدمشق أكثر من سبعين عاما وهي تعلم الطب باللغة العربية، وتبرهن على أن هذه اللغة لاتعجز عن مجاراة اللغات الأخرى اذا ماتعهدا أبناؤها وأخلصوا لها، وأن مستوى خريجي هذه الكلية لا يقل عن مستوى خريجي الكليات التي تعلم بلغات أجنبية في أقطار عربية أخرى. وأن ماصدر من المعاجم العلمية المتخصصة قليل إذا ما قورن بما يصدر منها في البلاد الأجنبية. وهي لاتسد النقص الحاصل من جراء فيض المصطلحات الجديدة وتدفعها كل يوم. فلا بد من الاعتماد على (الحاسوب) في سد هذه الثغرة وملاحقة الزمن المتسارع.

وأنة لاقيمة لكل هذا من معاجم المصطلحات العلمية سواء أكانت جهودا فردية أم جماعية ما لم تستعمل في مجالات الحياة العلمية المختلفة، سواء

أكان ذلك في الجامعات والتعليم العالي أم في غيرها. وفي الباب الرابع: أبرز البحث أن مكتب تنسيق التعريب الذي أسس للقضاء على التعددية أو الازدواجية في المصطلح العلمي إذا أسرع في إنجاز مشروعاته المعجمية، ثم ألزمت الجهات المسؤولة في البلاد العربية، المدارس والمعاهد والجامعات وبقية المؤسسات العلمية والمهنية، باستخدام هذه المصطلحات الموحدة، فان خطر تعدد المصطلحات العلمية في الوطن العربي سوف ينتهي.

وأن مكتب تنسيق التعريب ليس وحيدا في ساحة توحيد المصطلحات العلمية العربية، بل توجد الى جانبه مؤسسات عربية أخرى تضطلع بهذه المهمة وتمثل هذه المؤسسات في المجمع اللغوي والاتحادات المهنية المتخصصة وغيرها.

وان مشكلة تعددية المصطلح العلمي العربي مشكلة لامفر منها، وذلك لأسباب عديدة منها: تعدد اللغات الأجنبية التي تستقي منها العربية مصطلحاتها العلمية، وكذا تعدد الجهات التي تتولى عملية وضع المصطلح العلمي، وتعدد المنهجيات المتبعة في وضع المصطلحات العلمية واختيارها. والأهم من كل ذلك هو عدم تعريب التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، مما يؤدي الى بقاء المصطلحات المقررة حبيسة المعاجم المتخصصة دون أن يتاح لها المجال لمواجهة اختبار الاستعمال والقبول لعدم التزام الجهات المعنية بوجوب استعمالها.

وان تعدد المصطلحات وعدم توحيدها ينذر

بنشوء لغات علمية عربية مختلفة وينضوي تحت هذا ما يمكن أن نسميه (التضارب المصطلحي) فقد يستخدم الرمز الواحد والمصطلح الواحد لأكثر من دلالة.

فلقد بدأ الباحثون العرب يتجهون نحو تدارك خطر تعددية المصطلح العلمي ودراسته دراسة علمية على أنه فرع من علم اللغة الحديث، وأن إهماله يهدد صفاء العربية الفصحى ويحدث في صرحها شروخا. لهذا كان لا بد من توحيد المبادئ التي تتحكم في إيجاد المفاهيم العلمية أو تعديلها لوضع المصطلحات العلمية المقابلة لها.

ومن هنا نشأ (علم المصطلح) وهو علم حديث النشأة شهد ميلاده هذا القرن ولا يزال في دور النمو والتكامل. ثم قامت دعوات إلى تدريسه في الجامعات والمعاهد العربية العليا، أسوة بكثير من الجامعات والمعاهد العلمية في البلاد الأخرى. وبرزت النظرية العامة لعلم المصطلح التي يتوقع أن تجد لها تطبيقات جدية في المؤسسات والهيئات اللغوية والعلمية في الوطن العربي.

نتائج وتعليقات أخرى:

ان قضية وضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية ينبغي أن ينظر إليها نظرة تكاملية، بمعنى أن تتم معالجتها من الجوانب المختلفة، سواء كانت فنية علمية متخصصة، أو لغوية عامة، أو تنظيمية إدارية. أما المعالجة الجزئية التي تقتصر على جانب واحد من تلك الجوانب دون الآخر، فإنها لا تؤدي إلى النتيجة

المرجوة.

فلقد تفاقمت المصطلحات في الوقت الحاضر وتعاظم أمرها في مختلف المجالات وأرقت بجملتها على مضمون هيكل اللغة التي يتداولها ويتكلم بها مجتمع من المجتمعات. والمصطلحات العلمية تتجاوز مجموعها مفردات اللغة التي يستعملها المجتمع في حياته. وسرعة ظهور المصطلحات يؤدي إلى العجز عن ملاحقتها والقضاء على ذلك العجز، وهذا راجع إلى تسارع العلوم والتقنية في تقدمها على نحو مذهل مما يؤدي إلى صعوبة التنسيق نظراً لاتساع الرقعة الجغرافية، وتشعب العلوم، وتعدد الجهات المعنية، وعدم استقرار هذه المصطلحات وعدم شيوعها.

ولقد حظي المصطلح العلمي مؤخرًا بعناية فائقة تدل على الدور الذي يقوم به في ربط الصلة بين الأمم، وفي نقل المعارف والعلوم ونشر آثار الثقافة الحديثة. وإن لغة العلم سوف تزدهر بنهضة البحث العلمي في الوطن العربي ونقل الثقافة إليه.

وان كثرة المصطلحات العلمية وتنوعها في لغة ما تدل على سعة هذه اللغة وراقيها وتقدمها لاحتوائها على المفاهيم العلمية والحضارية، وأن المجتمع السذي يتكلم بهذه اللغة لذو ثقافة وحضارة.

ولقد برهنت الدلائل التي وردت في هذا البحث على ثراء اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن حقائق العلم مادة ومصطلحا، وأنها لم تقصر في ذلك ولن تقصر أبداً في إسعاف أحد عنده فكرة أو مفهوم يريد التعبير عنهما.

المصطلحات والمعاجم العلمية المتخصصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين في قدر من الوضوح والدقة والشمول. وآمل لمن يهتم من الباحثين بهذه الدراسات أن يزيد البناء لبنات جديدة كيما يعلو ويشمخ وترسخ دعائمه إن شاء الله.

ولقد استنتجت أخيراً أن من يمارس الدراسات اللغوية عليه أن يتفرغ ويخلص لها وحدها، كما قال أحمد فارس الشدياق: «اللغة كالجرة لاتقبل الضرة».

ولعلي بهذا الجهد المتواضع قد وفقت في رسم أحدث صورة للجهود اللغوية التي بذلت في وضع